

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الحَادِيَّةُ عَشْرَةٌ)

مِنْ مَادَّةِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

www.menhag-un.com

الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِهِ

فَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَحِيدِ: الْقِيَامُ بِهِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ تَدَبُّرًا صَحِيحًا، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ إِلَى ذَلِكَ شَأْنًا، وَقَدْ وَرَدَتِ النُّصُوصُ تُوكِّدُ أَهَمِّيَّتَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الْأَمْرَئِلَ ۝١ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥].

وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وَقَالَ عليه السلام: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَءَانَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَءَانَاءَ النَّهَارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَتَأْمَلْ قَوْلَهُ ﷺ: «يُنْفِقُهُ»، مَعَ قَوْلِهِ: «يَقُومُ بِهِ»، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ - أَي: لَمْ يَقْرَأْهُ فِي صَلَاةٍ - فَهُوَ مِثْلُ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُنْفِقْهُ، يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ وَأَقْرِئُوهُ، فَإِنَّ مِثْلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَامَ بِهِ كَمِثْلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًَا يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمِثْلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمِثْلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكِ».

فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - الْقُرْآنَ فَرَقَدَ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ، فَهُوَ مِثْلُ مَنْ اشْتَرَى طَبِيبًا وَتَرَكَهُ مُغْلَقًا وَلَمْ يَسْتَخْدِمْهُ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ، وَقَالَ مُحَقِّقُوهُ: «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَطَاءٍ مَوْلَى أَبِي أَحْمَدَ».

يُبَيِّنُ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي دَلَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْهَدَفِ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ ﷺ: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَهَذَا هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدِ، وَحَجَرُ الزَّائِيَةِ فِي تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، إِنَّهُ تَذَكُّرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَكَوْنُهَا حَاضِرَةً فِي الْقَلْبِ فِي كُلِّ آنٍ، خَاصَّةً فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ فِي الْحَيَاةِ، مَوَاقِفِ الشَّدَّةِ وَالذُّهُولِ، الْمَوَاقِفِ الَّتِي يُقْتَنُ فِيهَا الْمَرْءُ وَيُمْتَحَنُ وَيُخْتَبَرُ، فَمَنْ كَانَ يَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ تَجِدُ إِجَابَتَهُ حَاضِرَةً

سَرِيعَةً قَوِيَّةً، تَجِدُهُ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُفَرِّطًا فِي اسْتِخْدَامِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْقُطُ وَيَهْوِي، وَيَدُلُّ لِهَذَا قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فَالصَّبْرُ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ وَسِيلَتُهُ الْقِرَاءَةُ بِتَدَبُّرٍ، وَهُوَ حَاصِلٌ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي صَلَاةٍ؛ لِذَلِكَ قَرَنَ اللَّهُ -تَعَالَى- بَيْنَهُمَا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَيُطِيلُ فِيهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ كَمَا فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، فَمَنْ تَرَبَّى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ خَاصَّةً مِنَ الصَّغَرِ، سَهَلَ عَلَيْهِ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَرَبَّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ تَضَيَّقُ بِهِ الْحَيَاةُ فِي حَالِ الشَّدَةِ، وَتَضْيَعُ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ حَالَ الرَّخَاءِ.



مِنْ أَعْظَمَ مَا يُعِينُ عَلَى تَذَكُّرِ كِتَابِ اللَّهِ: الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ

إِنَّ اجْتِمَاعَ الْقُرْآنِ مَعَ الصَّلَاةِ يُمَكِّنُ أَنْ يُشَبَّهَ بِاجْتِمَاعِ الْأُمُورِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَمِرَّ وُجُودُهُ فِي الْحَيَاةِ كَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، وَكَذَلِكَ اجْتِمَاعُ الْقُرْآنِ مَعَ الصَّلَاةِ يَنْتُجُ عَنْهُ مَاءُ حَيَاةِ الْقَلْبِ وَصِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ.

لِذَلِكَ فَلَا تَعْجَبْ مِنْ كُلِّ هَذَا الْفَضْلِ الَّذِي رُتِّبَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامَ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «ثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ».

وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ، فَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يَزِدُّ قُرْبًا مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ يَقْبَلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ مُنَاجٍ رَبَّهُ، وَرَبُّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ فَإِنَّهُ مُسْتَقْبِلُ رَبِّهِ».

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ رحمته الله: قُلْتُ لِعَطَاءٍ رحمته الله، أَيَجْعَلُ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ أَوْ ثَوْبِهِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَحَبُّ أَلَّا يُخَمَّرَ - أَيُّ: لَا يُغَطِّي - فَاهُ، قَالَ عَطَاءٌ رحمته الله: بَلَّغْنَا أَنَّ الرَّبَّ يَقُولُ: إِلَى أَيْنَ تَلْتَفِتُ؟! إِلَيَّ يَا ابْنَ آدَمَ، إِنِّي خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ سِوَى الْإِنْقِطَاعِ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْمُلْهِياتِ لَكَفَى، فَإِنَّ الْمُصَلِّيَّ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ وَالْإِلْتِفَاتُ وَالْحَرَكَةُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَهَذَا كُلُّهُ أَعْوَانٌ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَأَجْمَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ مَنْ حَوْلَهُ لَا يَقْطَعُهُ وَلَا يَشْغَلُهُ مَا دَامَ فِي صَلَاةٍ.

إِذْنٌ؛ مِنْ أَعْظَمَ مَا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ، خَاصَّةً فِي اللَّيْلِ، وَخَاصَّةً فِي وَقْتِ السَّحَرِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ لِلتَّذَكُّرِ، فَالذَّاكِرَةُ تَكُونُ فِي أَعْلَى مُسْتَوَى بِسَبَبِ الْهُدُوءِ وَالصَّفَاءِ، وَبِسَبَبِ بَرَكَةِ الْوَقْتِ، وَهُوَ وَقْتُ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ، وَقْتُ فَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَأَيُّ أَمْرٍ تَسْتَبِثُهُ فِي الذَّاكِرَةِ بِحَيْثُ تَتَذَكَّرُهُ خِلَالَ النَّهَارِ فَقُمْ بِمُرَاجَعَتِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

لَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْ هَذَا أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَالْإِقْتِصَادِ خَاصَّةً فِي الْغَرْبِ، حَيْثُ ذَكَرَ عَدَدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَقُومُ بِمُرَاجَعَةِ لَوَائِحِهِ أَوْ حِسَابَاتِهِ أَوْ مُعَامَلَاتِهِ

وَأُورَاقِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ يُوفِّقُ لِلصَّوَابِ فِي قَرَارَاتِهِ، فَأَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ
الْآخِرَةِ أَوَّلَىٰ بِاِغْتِنَامِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ لِتَثْبِيتِ إِيْمَانِهِمْ وَعِلْمِهِمْ.

وَإِنَّ مِنَ الْحَقَائِقِ الْجَدِيرَةِ بِالدرَاسَةِ وَالتَّأَمُّلِ تِلْكَ الْعَلَاَقَةُ بَيْنَ قُوَّةِ
الْمُسْلِمِينَ وَقِيَامِهِمْ بِاللَّيْلِ بِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَمِنْ خِلَالِ تَأَمُّلٍ سَرِيعٍ تَجِدُ
أَنَّ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَجَدَتْ حِينَمَا كَانَتْ جُنُودُهُمْ تُوصَفُ بِأَنَّهُمْ رُهْبَانٌ
بِاللَّيْلِ فُرْسَانٌ فِي النَّهَارِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْقِرَاءَةِ فِي اللَّيْلِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى التَّذَكُّرِ قَوْلُ
اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَلِيلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾
[الإسراء: ٧٩]، وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَفْقَهُ الْقُرْآنَ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ عَنْ مُدَارِسَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ
رَمَضَانَ: «الْمَقْصُودُ مِنَ التَّلَاوَةِ الْحُضُورُ وَالْفَهْمُ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ مَطْنَةٌ ذَلِكَ، لِمَا فِي
النَّهَارِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ»، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]،
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿[الزمر: ٩].

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»، الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَوَّلُ مَا يَنْقُصُ مِنَ الْعِبَادَةِ التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فِيهَا بِالْقُرْآنِ».

قَالَ الشَّيْخُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَثْبُتُ الْقُرْآنُ فِي الصَّدْرِ، وَلَا يَسْهُلُ حِفْظُهُ وَيُسَّرُ فَهْمُهُ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ».

وَمِنْ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَجِدُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَلِيمٌ، فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ، وَفِي صَلَاةِ اللَّيْلِ أَكْثَرَ، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأِنَّمَا رَجَحَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ وَقِرَاءَتُهُ لِكَوْنِهَا أَجْمَعَ لِلْقَلْبِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الشَّاعِلَاتِ وَالْمُلْهِياتِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْحَاجَاتِ، وَهِيَ أَصَوْنٌ عَنِ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحْبِطَاتِ مَعَ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ إِجَادِ الْخَيْرَاتِ فِي اللَّيْلِ، فَإِنَّ الْأَسْرَاءَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَيْلًا».

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْقِيَامِ بِالْحِزْبِ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّيْلُ، وَفِي حَالَةِ الْعُذْرِ فَإِنَّهُ يُعْطَى الثَّوَابَ نَفْسَهُ إِذَا قَضَاهُ فِي النَّهَارِ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ الْجَفَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلْتُ عَلَى كُرْزِ بْنِ وَبَرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ فَإِذَا هُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟! قَالَ: إِنَّ بَابِي مُغْلَقٌ، وَإِنَّ سِتْرِي لَمُسْبَلٌ، وَمُنَعْتُ حَزْبِي أَنْ أَقْرَأَهُ الْبَارِحَةَ، وَمَا هُوَ إِلَّا لِدَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ.

الْقِرَاءَةُ لِلْقَلْبِ كَالسَّقْيِ لِلنَّبَاتِ، فَالسَّقْيُ لَا يَكُونُ فِي حَرِّ الشَّمْسِ، فَإِنَّ هَذَا يُضْعِفُ أَثَرَهُ خَاصَّةً مَعَ قَلَّةِ الْمَاءِ فَإِنَّهُ يَتَبَخَّرُ، وَكَذَلِكَ قُرْآنُ اللَّيْلِ إِذَا كَانَتْ قِرَاءَتُهُ قَلِيلَةً، وَكَانَتْ فِي النَّهَارِ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ وَالْمُشْغَلَاتِ، فَإِنَّ مَا يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْمَعَانِي يَتَبَخَّرُ وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَهَذَا يُجِيبُ عَلَى تَسْأُولِ الْبَعْضِ إِذْ يَقُولُ: إِنِّي أَكْثَرُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لَكِنْ لَا أَتَأَثَّرُ بِهِ! فَإِذَا سُئِلَ: مَتَى تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ تَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ قِرَاءَتِهِ فِي النَّهَارِ - فِي وَقْتِ الصُّبْحِ - وَبَشْيَاءٍ مِنَ الْمُكَابَدَةِ لِحُصُولِ التَّرْكِيزِ، فَكَيْفَ سَيَتَأَثَّرُ؟!»



مِمَّا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: سَمَاعُهُ مِنَ الْآخَرِينَ

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: سَمَاعُهُ مِنَ الْآخَرِينَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ. قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟! قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: أُمْسِكْ. فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَى اسْتِمَاعِهِ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لِيَكُونَ عَرْضُ الْقُرْآنِ سُنَّةً، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَيْ يَتَدَبَّرُهُ وَيَفْهَمُهُ، ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ أَقْوَى عَلَى التَّدَبُّرِ، وَنَفْسُهُ أَخْلَى وَأَنْشَطُ مِنْ نَفْسِ الْقَارِئِ؛ لِأَنَّهُ فِي شُغْلٍ بِالْقِرَاءَةِ وَأَحْكَامِهَا».

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ هَذَا فَوَائِدُ مِنْهَا:

* اسْتِحْبَابُ اسْتِمَاعِ الْقِرَاءَةِ، وَالْإِصْغَاءِ لَهَا، وَالْبُكَاءِ عِنْدَهَا، وَتَدَبُّرِهَا.

* وَاسْتِحْبَابُ طَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ غَيْرِهِ لِيَسْتَمِعَ لَهُ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّفْهِيمِ وَالتَّدَبُّرِ مِنْ قِرَاءَتِهِ بِنَفْسِهِ.

* وَفِيهِ تَوَاضَعُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَلَوْ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ».

وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِذَا كَانَ هَذَا الشَّاهِدُ تَفِيضُ عَيْنَاهُ لِهَوْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَعَظَمِ تِلْكَ الْحَالَةِ، فَمَاذَا -لَعَمْرِي- يَصْنَعُ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ بِالْقِيَامَةِ وَقَدْ أَنَاخَتْ لَدَيْهِ».

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَجْلِسِ-: يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا. فَيَقْرَأُ عِنْدَهُ أَبُو مُوسَى.

وَرُبَّمَا قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِهِ عَلَى خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ كَانَ مَاهِرًا بِالْقُرْآنِ تَخْصِيصًا وَتَشْرِيعًا، كَمَا حَدَّثَ ذَلِكَ لِسَيِّدِ الْقُرَّاءِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلِ مَنْ كَتَبَ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]»، قَالَ: وَسَمَّانِي؟! قَالَ: «نَعَمْ»، فَبَكَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَكَى إِمَّا فَرَحًا وَسُرُورًا بِذَلِكَ، وَإِمَّا خُشُوعًا وَخَوْفًا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِ تِلْكَ النُّعْمَةِ».

وَفِي رِوَايَةِ لِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ: قَالَ: «نَعَمْ، بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «تَعَجَّبَ أَبِي مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ تَسْمِيَةَ اللَّهِ لَهُ وَنَصَّهُ عَلَيْهِ لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ، فَلِذَلِكَ بَكَى إِمَّا فَرَحًا وَإِمَّا خُشُوعًا».

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «الْمُرَادُ بِالْعَرَضِ عَلَى أَبِي لَيْتَعَلَّمَ أَبِي مِنْهُ الْقِرَاءَةَ وَيَتَّبَتْ فِيهَا، وَلِيَكُونَ عَرَضُ الْقُرْآنِ سُنَّةً، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَتَقَدُّمِهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، لَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَسْتَذْكَرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا بِذَلِكَ الْعَرَضِ».

وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ التَّوَاضُّعِ فِي اخْتِذِ الْإِنْسَانِ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ وَإِنْ كَانَ دُونَهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

* الْمَنْقَبَةُ الشَّرِيفَةُ لِأَبِي بَقْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ، وَلَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ شَارَكَهُ فِي هَذَا.

* وَمِنْهَا مَنْقَبَةٌ أُخْرَى لَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- لَهُ، وَنَصِّهِ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ.

لَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِاخْتِذِ الْقُرْآنِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ مِنْهُمْ أَبِي بَقْرَةَ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ؛ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ».



مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

الاجتماع لمدايسة القرآن

مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: الْاجْتِمَاعُ لِمُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِنُزُولِ السَّكِينَةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَذَلِكَ كَانَ جَبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ فِي كُلِّ رَمَضَانَ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ السَّكِينَةَ وَالْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى هَذَا بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» بِقَوْلِهِ: «بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، وَأُورِدَ حَدِيثُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ

فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ،
فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ،
اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ».

قَالَ: فَأَشْفَقْتُ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ
رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ
الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا.

قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا
لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعِنْدَ الْبَزَارِ: «كَانَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ».



مِنْ أَسْبَابِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: الْعِلْمُ

مِنْ أَسْبَابِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: الْعِلْمُ؛ إِذْ كَمَالُ الْإِنْسَانِ بِتَكْمِيلِ قُوَّتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالصَّبْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُمَا الْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ، وَبِتَكْمِيلِهِ لِغَيْرِهِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١-٣]، فَأَقْسَمَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ خَاسِرٌ إِلَّا مَنْ كَمَلَ قُوَّتُهُ الْعِلْمِيَّةُ بِالْإِيمَانِ، وَقُوَّتُهُ الْعَمَلِيَّةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَلَ غَيْرُهُ بِالتَّوَصُّيَةِ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالتَّوَّاصِي بِهِ.

لَمَّا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ حَقِيقًا بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُنْفِقَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ -بَلْ أَنْفَاسَهُ- فِيمَا يَنَالُ بِهِ الْمَطَالِبَ الْعَالِيَةَ، وَيَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِقْبَالِ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ وَتَذَكُّرِهِ، وَاسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهِ وَإِثَارَةِ دَفَائِنِهِ، وَصَرْفِ الْعِنَايَةِ إِلَيْهِ، وَالْعُكُوفِ بِالْهَمَّةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الْكَفِيلُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْمَوْصِلُ لَهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ

وَالْأَذْوَاقُ وَالْمَوَاجِدُ الصَّحِيحَةُ كُلُّهَا لَا تُقْتَبَسُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةٍ، وَلَا تُسْتَمَرُّ إِلَّا مِنْ شَجَرَاتِهِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالنَّاسُ فِي الْعِلْمِ طَبَقَاتٌ، مَوْقِعُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِقَدْرِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ، فَحَقَّ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ بُلُوغُ غَايَةِ جُهِدِهِمْ فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ عِلْمِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي اسْتِدْرَاكِ عِلْمِهِ نَصًّا وَاسْتِنْبَاطًا، وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَوْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ خَيْرٌ إِلَّا بِعَوْنِهِ».

فَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَ عِلْمَ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ نَصًّا وَاسْتِدْلَالًا، وَوَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِمَا عِلِمَ مِنْهُ، فَازَ بِالْفَضِيلَةِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَانْتَفَتَ عَنْهُ الرِّيبُ، وَنَوَّرَتْ فِي قَلْبِهِ الْحِكْمَةُ، وَاسْتَوْجَبَ فِي الدِّينِ مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ، فَسَأَلَ اللَّهُ الْمُبْتَدِئَ لَنَا بِنِعَمِهِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، الْمُدِيمَ بِهَا عَلَيْنَا مَعَ تَقْصِيرِنَا فِي الْإِتْيَانِ عَلَى مَا أَوْجَبَ مِنْ شُكْرِهِ لَهَا، الْجَاعِلِنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَنْ يَرْزُقَنَا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ».



خَشْيَةُ الرَّبِّ الَّتِي تُورِثُ الْخُشُوعَ وَالْبُكَاءَ مِنْ أَظْهَرَ ثَمَرَاتِ عِلْمِ الْقَلْبِ

مِنْ أَظْهَرَ ثَمَرَاتِ عِلْمِ الْقَلْبِ: خَشْيَةُ الرَّبِّ الَّتِي تُورِثُ الْخُشُوعَ وَالْبُكَاءَ،
كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْبُكَاءُ فِي حَالِ الْقِرَاءَةِ هُوَ صِفَةُ الْعَارِفِينَ، وَشِعَارُ
عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾
[الإسراء: ١٠٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ -رَحِمَهُمَا اللَّهُ- قَالَ: قُلْتُ لِجَدَّتِي أَسْمَاءَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُونَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنُ؟ قَالَتْ: كَانُوا كَمَا نَعَتَهُمُ اللَّهُ ﷻ؛ تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ، وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ.

وَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ حَالِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا
وَأَجْنَبْنَاهُ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ إِذَا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ الْمُتَضَمِّنَ حُجَجَهُ
وَدَلَالَتَهُ وَبَرَاهِينَهُ سَجَدُوا لِرَبِّهِمْ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً وَحَمْدًا وَشُكْرًا عَلَى مَا هُمْ
فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ.

كَانَ عَبْدُ الْأَعْلَى التِّمِّيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ، لَخَلِيقٌ إِلَّا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- نَعَتَ الْعُلَمَاءَ فَقَالَ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، فَمَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لَخَلِيقٌ إِلَّا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُ.

وَهَذَا الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا اشْتَدَّ الْمَرَضُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ!».

وَأَمَّا الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ يُسْمِعُ نَشِيجَهُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ قَالَ: «سَمِعْتُ نَشِيجَ عُمَرَ وَأَنَا فِي آخِرِ الصُّفُوفِ يَقْرَأُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]».

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ «بَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَائِمٌ يُصَلِّي إِذِ اسْتَبَكَى، فَكَثُرَ بُكَاءُهُ حَتَّى فَرَعَ لَهُ أَهْلُهُ وَسَلَّوْهُ، فَاسْتَعْجَمَ عَلَيْهِمْ، وَتَمَادَى فِي الْبُكَاءِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي حَازِمٍ فَجَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا الَّذِي أَبْكَاكَ؟! قَالَ: مَرَّتْ بِي آيَةٌ! قَالَ: وَمَا هِيَ؟! قَالَ: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، فَبَكَى أَبُو حَازِمٍ مَعَهُ فَاشْتَدَّ بُكَاءُهُمَا».

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ «جَزَعَ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَجَزَعُ؟ قَالَ: أَخْشَى آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَبَدَأْهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، أَنَا أَخْشَى أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ».

وَفِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ فَبَكَى، فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟! فَقَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ! قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَلَا أَدْرِي أَنْجُو مِنْهَا أَمْ لَا».

وَعَنِ الرَّبَاحِيِّ قَالَ: «شَرِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَاءً بَارِدًا، فَبَكَى فَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَ: ذَكَرْتُ آيَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤]، فَعَرَفْتُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَشْتَهُونَ شَيْئًا شَهَوْتَهُمُ الْمَاءَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا أَجْمَعِينَ».



أَحْوَالُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ

إِنَّ الْأَخْيَارَ الْأَبْرَارَ - كَمَا وَصَفَهُمُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ - عِنْدَ تِلَاوَتِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، حَالُهُمْ عِنْدَ الْمَوَاعِظِ الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ، وَالْبُكَاءُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، لَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، فَهَذَا وَصَفُ حَالِهِمْ وَحِكَايَةُ مَقَالِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَى هَدْيِهِمْ وَلَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ نَفْسُهُ.



مِمَّا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ:
أَنْ يَرْجِعَ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ

مِمَّا يُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْ يَرْجِعَ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ، مَعَ اسْتِشْعَارِهِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحِيطَ بِمَعَانِي كَلَامِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، فَيُظِلُّ مَعَ ذَلِكَ مُمَعِنًا مُتَفَكِّرًا مُتَدَبِّرًا، لَوْ أُعْطِيَ الْعَبْدُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَلْفَ فَهْمٍ لَمْ يَبْلُغْ نِهَايَةَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ صِفَتُهُ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ نِهَايَةٌ، فَكَذَلِكَ لَا نِهَايَةَ لِفَهْمِ كَلَامِهِ، وَإِنَّمَا يَفْهَمُ كُلُّ مِقْدَارٍ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ، فَيَفْهَمَ عَنِ اللَّهِ مُرَادَهُ وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِ، فَيَنْتَفِعَ بِمَا يَقْرَأُ، وَيَعْمَلُ بِمَا يَتْلُو، فَمَا أَفْبَحَ لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتْلُو فَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ وَهُوَ لَا يَفْهَمُ مَا يَتْلُو، فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِمَا لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ، وَمَا أَفْبَحَ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ فِقْهِ مَا يَتْلُو وَلَا يَدْرِيهِ، فَمَا مَثَلُ مَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ إِلَّا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا».

وَتَأَمَّلْ مَا قَالَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَتَرَى كَيْفَ بَلَغَ بِهِمُ الْحِرْصُ عَلَى فَهْمِ مُرَادِ اللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ

غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَوْقَفْتُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا».

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «وَرُبَّمَا طَالَعْتُ عَلَى الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ نَحْوَ مِائَةِ تَفْسِيرٍ، ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْفَهْمَ، وَأَقُولُ: يَا مُعَلِّمَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَّمْنِي. وَكُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْمَهْجُورَةِ وَنَحْوِهَا، وَأَمْرُغُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَى - وَأَقُولُ: يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ فَهِّمْنِي».

هَكَذَا كَانُوا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.



مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّدَبُّرِ:

الِاسْتِعَانَةُ بِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيَانِهِ لِلْقُرْآنِ

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّدَبُّرِ: الِاسْتِعَانَةُ بِكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيَانِهِ لِلْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ مُبَيِّنٌ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّةُ تَفْسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

قَالَ السُّيُوطِيُّ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَنْ أَرَادَ تَفْسِيرَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ طَلَبَهُ أَوَّلًا مِنْ الْقُرْآنِ، فَمَا أَجْمَلَ مِنْهُ فِي مَكَانٍ فَقَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اخْتَصَرَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ بَسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ طَلَبَهُ مِنَ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمَوْضِحَةٌ لَهُ».

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»؛ يَعْنِي: السُّنَّةَ.

لِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَفْتَحُ لَكَ الْبَابَ فِي فَهْمِ الْفَاتِحَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ - ٧]، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ: فَإِذَا تَأَمَّلَ الْعَبْدُ هَذَا، وَعَلِمَ أَنَّهَا نِصْفَانِ، نِصْفٌ لِلَّهِ وَهُوَ أَوْلَاهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَنِصْفٌ لِلْعَبْدِ دُعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لِنَفْسِهِ، وَتَأَمَّلَ أَنَّ الَّذِي عَلَّمَهُ هَذَا هُوَ

اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمْرُهُ أَنْ يَدْعُو بِهِ وَيُكْرِرُهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ضَمِنَ إِجَابَةَ هَذَا الدُّعَاءِ إِذَا دَعَاهُ بِإِخْلَاصٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ.
إِذَا مَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَدْ تَبَيَّنَ لِلْعَبْدِ مَا أَضَاعَ أَكْثَرُ النَّاسِ.

قَدْ هَيَّوْكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ = فَارَبًّا بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقَدْ ثَبَتَ بِهَذَا النَّصِّ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مُنْقَسِمَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَأَنَّ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ مُقْتَسَمَتَا السُّورَةِ؛ فَ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَعَ مَا قَبْلَهُ لِلَّهِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مَعَ مَا بَعْدَهُ لِلْعَبْدِ، وَلَهُ مَا سَأَلَ، لِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: نِصْفُهَا ثَنَاءٌ وَنِصْفُهَا مَسْأَلَةٌ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ دُعَاءٌ».

فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى تَذَكُّرِ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَكَذَلِكَ مَا يَأْتِي بِهِ فِي التَّلَاوَةِ مِنَ الْجَهْرِ؛ لِأَنَّهُ أَجْمَعٌ لِلْقَلْبِ عَلَى الْمَعَانِي، وَيَمْنَعُ شُرُودَ الذَّهْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ جَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقِرَاءَةِ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي حُجْرَتِهِ قِرَاءَةً لَوْ أَرَادَ حَافِظٌ أَنْ يَحْفَظَهَا فَعَلَ».

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْعِنَايَةِ بِالْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ؛ مَا رَوَاهُ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ لَيْلَةً، فَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ»، قَالَ: أَسَمِعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَرْفَعُ صَوْتَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْقِظَ الْوَسْطَانِ وَأَطْرَدُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا»، وَقَالَ لِعُمَرَ: «اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ، وَالْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي «صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرِ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَجَازَتْ طَائِفَةٌ رَفَعَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا حَسَنَ الصَّوْتُ بِهِ كَانَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ، وَكَانَ أَسْمَعَ فِي الْقُلُوبِ».

فَيُسْتَحَبُّ الْجَهْرُ بِالْقِرَاءَةِ، نَعَمْ مَنْ قَرَأَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ
يَجْهَرَ جَهْرًا يَشْغَلُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يُصَلُّونَ فِي
الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ».

وَلَكِنْ يَكُونُ مُرَاعِيًا لِحَالِهِ وَأَحْوَالِ مَنْ حَوْلَهُ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

الإِيمَانُ وَالْيَقِينُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ

مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَاعِي الَّتِي تَدْعُو إِلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ

مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَاعِي الَّتِي تَدْعُو إِلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: الإِيمَانُ وَالْيَقِينُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

[الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَلَّتِ الْآيَةُ بِإِشَارَتِهَا وَإِيمَائِهَا عَلَى أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَعَانِيَهُ وَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْقُلُوبُ الطَّاهِرَةُ، وَحَرَامٌ عَلَى الْقُلُوبِ الْمُتَلَوِّثِ بِنَجَاسَةِ الْبِدْعِ وَالْمُخَالَفَاتِ أَنْ يَنَالَ مَعَانِيَهُ، وَأَنْ يَفْهَمَهُ كَمَا يَنْبَغِي، لَا يَنَالَ مَعَانِيَهُ إِلَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْهُ بَوَاجِهُ مِنَ الْوُجُوهِ».

أُورِدَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]: «لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤَقِّنُ».



مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَاعِي إِلَى تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ:
شِدَّةُ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ

أَهَمُّ الْمُهِمَّاتِ وَأَعْظَمُ الدَّوَاعِي إِلَى تَذَكُّرِ كَلَامِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا: شِدَّةُ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَعَدَمُ التَّفَاتِ الْقَلْبِ إِلَى غَيْرِهِ، فَبِذَلِكَ تَتَنَوَّرُ الْبَصِيرَةُ وَتَجْتَمِعُ الْهِمَّةُ، فَالْقَلْبُ الْمَشْغُولُ عَنِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِهِ قَلَمًا يَتَأَثَّرُ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّى يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ وَقَلْبُهُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَجْتَمِعُ فَهْمُ الْقُرْآنِ وَالِاشْتِغَالُ بِالْحُطَامِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ أَبَدًا».

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا رَجَحْتَ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَقِرَاءَتَهُ لِكَوْنِهَا أَجْمَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الشَّاعِلَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ».

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ - أَيْ: حَتَّى يُفْسِدَهُ - خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَ شِعْرًا».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَيَّنَّ أَنَّ الْجَوْفَ يَمْتَلِئُ بِالشَّعْرِ، فَكَذَلِكَ يَمْتَلِئُ بِالشُّبْهِ وَالشُّكُوكِ وَالْخَيَالَاتِ وَالتَّقْدِيرَاتِ الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا، وَالْعُلُومِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ، وَالْمُفَاكَهَاتِ وَالْمُضْحِكَاتِ وَالْحِكَايَاتِ وَنَحْوِهَا، وَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِذَلِكَ جَاءَتْهُ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ الَّذِي بِهِ كَمَالُهُ وَسَعَادَتُهُ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ فَرَاغًا لَهَا وَلَا قَبُولًا، فَتَعَدَّتْهُ وَجَاوَزَتْهُ إِلَى مَحَلِّ سِوَاهُ، كَمَا إِذَا بُذِلَتِ النَّصِيحَةُ لِقَلْبٍ مَلَأَنَ مِنْ ضِدِّهَا، لَا مَنَفَذَ لَهَا فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُهَا وَلَا تَلْبُجُ فِيهِ، لَكِنْ تَمُرُّ مُجْتَازَةً لَا مُسْتَوِطِنَةً، لِذَلِكَ قِيلَ:

نَزَّهُ فَوَادَكَ مِنْ سِوَانَا تَلَقَّنَا = فَجَنَابُنَا حِلٌّ لِكُلِّ مُنْزَرِهِ».

لِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مُسْتَشْعِرًا مَا أَفَاضَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْإِسْتِنْبَاطَاتِ الْبَدِيعَةِ، ذَلِكَ أَنَّاءَ سَجْنِهِ وَخُلُوتِهِ بِرَبِّهِ وَإِقْبَالِهِ التَّامَّ عَلَى الْقُرْآنِ: «قَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَمِنْ أَصُولِ الْعِلْمِ بِأَشْيَاءَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَتَمَنَّوْنَهَا، وَنَدِمْتُ عَلَى تَضْيِيعِ أَكْثَرِ أَوْقَاتِي فِي غَيْرِ مَعَانِي الْقُرْآنِ».

هَذَا كَلَامُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا سُجِنَ فِي الْقَلْعَةِ بِدَمَشْقَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا إِلَّا إِلَى قَبْرِهِ، فَهَذَا الْكَلَامُ قَالَهُ عِنْدَمَا سُجِنَ بِالْقَلْعَةِ.

وَمَهْمَا اسْتَشْعَرَ الْقَارِئُ أَنَّهُ مُخَاطَبٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَفْلَحَ كُلَّ الْفَلَاحِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضَرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ - سُبْحَانَهُ - مِنْهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ذَلِكَ أَنَّ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ، وَمَحَلٌّ قَابِلٍ وَشَرْطٍ لِحُصُولِ الْأَثَرِ، وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ، تَضَمَّنَتْ الْآيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ وَأَدْلَاهِ عَلَى الْمُرَادِ، فَإِذَا حَصَلَ الْمُؤَثِّرُ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالْمَحَلُّ الْقَابِلُ وَهُوَ الْقَلْبُ الْحَيُّ، وَوُجِدَ الشَّرْطُ وَهُوَ الْإِصْغَاءُ، وَانْتَفَى الْمَانِعُ وَهُوَ اشْتِغَالُ الْقَلْبِ وَذُھُولُهُ عَنْ مَعْنَى الْخِطَابِ وَانْصِرَافُهُ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، حَصَلَ الْأَثَرُ وَهُوَ الْإِنْتِفَاعُ وَالتَّذَكُّرُ.

فَكُلُّ مَنْ قَصَدَ الْهِدَايَةَ وَالْعِلْمَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِيهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَيَزِيدُهُ نُورًا وَهِدَايَةً وَبَصِيرَةً، فَالْهُدَى كُلُّ الْهُدَى فِي الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وَإِذَا بَدَلَ الْعَبْدُ فِي ذَلِكَ وَسْعَهُ، فَالرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا أَكْرَمُ مِنْ عَبْدِهِ، فَيَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِهِ أُمُورًا لَيْسَتْ فِي حِسَابِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَمِنْ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وَالَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِمَاءٍ الْمَطَرِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْقُلُوبَ
الْمَيِّتَةَ بِمَا أَنْزَلَهُ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِحْيَاءَ الْأَرْضِ بِمَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ جَلَّوَعَلَا مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ:
﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]،
فَكَمَا يُحْيِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِمَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْحَيَا
وَمَاءِ الْمَطَرِ، فَكَذَلِكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
مِنَ الْهُدَى وَالْخَيْرِ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.



الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ لِلْقُرْآنِ هِيَ الْمَدْخُلُ الْأَمْثَلُ لِلتَّذَكُّرِ

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةً صَحِيحَةً؛ لِأَنَّهَا الْمَدْخُلُ الْأَمْثَلُ لِلتَّذَكُّرِ، فَهِيَ مَرَحَلَةٌ مُهِمَّةٌ أَوَّلِيَّةٌ لِلتَّذَكُّرِ، الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلَّا بِالتَّلَقِّيِّ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَشَايخِ الْمُقَرَّرِينَ، وَقَدْ اعْتَنَى النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، فَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ التَّلَاوَةِ، وَلَوْ أَحْصَيْنَا مَا كَانَ يَقْرُؤُهُ فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ الْجَهْرِيَّةِ عِنْدَمَا كَانَ يُؤْمُ أَصْحَابُهُ ﷺ نَجِدُ أَنَّهَا تَبْلُغُ عَشْرَاتِ الْأَلُوفِ مِنَ الرِّكَعَاتِ، فَمَا بِالْكَ بِالصَّلَوَاتِ النَّافِلَةِ، وَالْعَرَضَاتِ الثَّاقِبَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا فَقَدْ عَرَضَ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ الْعَرَضَاتِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ عَرَضَةً.

قِرَاءَتُهُ كَانَتْ يَتَذَكَّرُ، لِهَذَا كَانَتِ السُّورَةُ عِنْدَمَا يُرْتَّلُهَا تَطَوُّلًا، فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ، وَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرْتَّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلُ مِنْ أَطْوَلِ مِنْهَا». وَفِي ذَلِكَ تَعْلِيمٌ لِلتَّلَاوَةِ وَالتَّذَكُّرِ، وَرَصِيدٌ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

الْخِلَافَ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ التَّرْسُلِ وَالسُّرْعَةِ

ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ الْخِلَافَ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ التَّرْسُلِ وَالسُّرْعَةِ، وَنَقَلَ عَنِ الْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ فِي كِتَابِهِ «الْإِسْتِغْنَاءُ بِالْقُرْآنِ» قَوْلُهُ: «الصَّوَابُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ: ثَوَابُ قِرَاءَةِ التَّرْتِيلِ وَالتَّدْبِيرِ أَجَلُّ وَأَرْفَعُ قَدْرًا، وَثَوَابُ كَثْرَةِ التَّلَاوَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا، فَلَاوُلَّ كَمَنْ تَصَدَّقَ بِجَوْهَرَةٍ عَظِيمَةٍ، أَوْ أَعْتَقَ عَبْدًا قِيمَتُهُ نَفِيسَةٌ جَدًّا، وَالثَّانِي كَمَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ أَوْ أَعْتَقَ عَدَدًا مِنَ الصَّبِيِّ قِيمَتُهُمْ رَخِيصَةٌ».

قِرَاءَتُهُ ﷺ سَاعَدَتْ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْفَهْمِ ثُمَّ الْعَمَلِ، وَصَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَتْ مُفَسِّرَةً حَرْفًا حَرْفًا»، وَأَنَّهُ «كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً»، قَالَ النَّحَّاسُ: «وَمَعْنَى هَذَا الْوُقُوفُ عَلَى رُؤُوسِ الْآيَاتِ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ كَانَ لَهَا الْأَثَرُ الْفَاعِلُ فِي تَعْلِيمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِلْمَ التَّفْسِيرِ وَعِلْمَ التَّدْبِيرِ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ الْمُؤَثِّرَةِ إِذَا التَّقَى مَعَهَا التَّامُّلُ فِي مَقَاصِدِهَا وَالتَّفَهُُّ لِمَعَانِيهَا فَإِنَّهَا تَمَسُّ شَغَافَ الْقَلْبِ، فَيَخْشَعُ وَيَخْضَعُ لِلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي يُخَاطَبُ عِبَادَهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ -تَعَالَى- أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ هِدَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ

إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿١١﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١].

لَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِنَايَةِ بِالْوَقْفِ عَلَى الْمَعَانِي؛ كَالْوَقْفِ عِنْدَ ذِكْرِ آيَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْوَقْفِ عِنْدَ آيَةِ الْعَذَابِ، أَخْرَجَ النَّحَّاسُ بِسَنَدِهِ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، اقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ، وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ».



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ

* دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ:

١ - قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ.

٢ - وَخَلَاءُ الْبَطْنِ.

٣ - وَقِيَامُ اللَّيْلِ.

٤ - وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ.

٥ - وَمَجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مِنْ أَسْلُوبِهِ عِنْدَ التَّلَاوَةِ أَنْ يُكْرِّرَ فِي الْقِرَاءَةِ، فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ حَتَّى عَلَى تَدَبُّرِ الْآيَةِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا مِرَارًا مِنْ أَجْلِ الْوُقُوفِ عَلَى مَعَانِيهَا وَمَرَامِيهَا.

أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةِ حَتَّى أَصْبَحَ؛ يُرَدِّدُهَا، وَالْآيَةُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»، هَذَا التَّرْدِيدُ آيَةُ التَّدَبُّرِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

كَمَا وَقَعَ مِنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ «أَتَى الْمَقَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ يُصَلِّي، فَافْتَتَحَ السُّورَةَ الَّتِي تَذَكَّرُ فِيهَا الْجَائِيَّةُ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البجائية: ٢١]، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى أَصْبَحَ».

وَكَذَلِكَ وَقَعَ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ «كَانَ يُرَدِّدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] حَتَّى أَصْبَحَ»، فَلَا بَأْسَ بِتَكَرُّرِ الْآيَةِ وَتَرْدِيدِهَا كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ، وَكَذَلِكَ كَمَا فَعَلَ جُمْلَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَكَذَا مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

عَلَى كُلِّ، الَّذِي يُعِينُ عَلَى التَّدَبُّرِ إِجْمَالًا - بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ - هَذِهِ الْأُمُورُ:

* النَّظَرَةُ الْكُلِّيَّةُ الشَّامِلَةُ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، كَمَا مَرَّ، الْقُرْآنُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَبَاعِيضٌ وَتَفَارِيقٌ حَتَّى فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ، لَا يَدْرِي مَا الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي جَعَلَتْ الْآيَةَ بِعَقِبِ الْآيَةِ، وَمَا الْمَعْنَى الَّذِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ آيَةُ بِعَقِبِ آيَةٍ، فَضْلًا عَنِ السُّورَةِ بَعْدَ السُّورَةِ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، لِذَلِكَ كَتَبَ الْعُلَمَاءُ الْفُحُولُ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، وَلِمَاذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِعَقِبِ هَذِهِ؟!

بَلْ مَا يُظُنُّ - أحياناً - أَنَّهُ مُقَحَّمٌ بَيْنَ الْآيَاتِ ذَاتِ السِّيَاقِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ تَأْتِي آيَةٌ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا الْمَرْءُ بِأَدْيِ الرَّأْيِ تَعَجَّبَ مِنْ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ هَذَا السِّيَاقِ بِهِذِهِ السُّورَةِ، لَكِنَّهُ إِذَا رَجَعَ إِلَى كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ، فَالنَّظَرُ الْكُلِّيَّةُ الشَّامِلَةُ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا، وَكَذَلِكَ النَّظَرُ التَّفْصِيلِيَّةُ فِي الْمُقَابِلِ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ تَرْكِيبِيهَا وَمَعْنَاهَا وَنَزُولِهَا وَغَرِيبِهَا وَدَلَالَتِهَا.

* الْإِلْتِفَاتُ لِلْأَهْدَافِ الرَّئِيسَةِ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ الْعَقِيدَةَ وَيُبَيِّنُ الْأَحْكَامَ وَيَقْصُ قِصَصَ السَّالِفِينَ مِنَ الْمَرْحُومِينَ وَالْمُعَذِّبِينَ، فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْمَقَاصِدُ هِيَ الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا كِتَابُ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا: بَيَانُ الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَبَيَانُ الْأَحْكَامِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا قِصَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا صَالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - دُنْيَا وَآخِرَةً، وَالَّذِينَ كَانُوا طَالِحِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

* تَدَارُسُ الْقُرْآنِ، كَمَا دَارَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ.

* الثِّقَةُ الْمُطْلَقَةُ بِالنِّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَإِخْضَاعُ الْوَاقِعِ الْمُخَالَفِ لَهُ، لَا أَنْ يُخْضَعَ الْقُرْآنُ لِلْوَاقِعِ الْمُخَالَفِ لَهُ، هَذَا عَكْسٌ لِلْمَقْصُودِ.

* مُلَاحَظَةُ الْبُعْدِ الْوَاقِعِيِّ لِلْآيَةِ، بِحَيْثُ يَجْعَلُ مِنَ الْآيَةِ مُنْطَلَقًا لِإِعْلَاجِ حَيَاتِهِ وَوَاقِعِهِ، وَمِمِيزَانًا لِمَنْ حَوْلَهُ وَمَا يُحِيطُ بِهِ.

* مُعَايِشَةُ مَعَانِي الْآيَاتِ وَإِيحَاءَاتِ النُّصُوصِ، وَمُلاحَظَةُ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ لِلسُّورَةِ، وَالتَّمَكُّنُ مِنْ أُسَاسِيَّاتِ عُلُومِ التَّفْسِيرِ، وَتَصَوُّرُ حَالِ الدَّعْوَةِ عِنْدَ نَزُولِ الْآيَاتِ، وَالْعَوْدَةُ الْمُتَجَدِّدَةُ لِلآيَاتِ، وَعَدَمُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى التَّدْبِيرِ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَالْمَعَانِي تَتَجَدَّدُ، الْاِسْتِعَانَةُ بِالْمَعَارِفِ وَالثَّقَافَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَالْقِرَاءَةُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَخَصِّصَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

كُلُّ هَذَا يُعِينُ عَلَى التَّدْبِيرِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ مَعَ مَا مَرَّ ذِكْرُهُ.



جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

مَا هِيَ دَرَجَةُ أَهَمِّيَّةِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فِي عُقُولِنَا؟

وَالآنَ:

مَا هِيَ دَرَجَةُ أَهَمِّيَّةِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فِي عُقُولِنَا؟!

وَمَا نِسْبَةُ التَّدَبُّرِ فِي وَاقِعِنَا الْعَمَلِيِّ فِيمَا نَقْرُؤُهُ فِي الْمَسْجِدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ؟!

هَلْ نَحْنُ نُرَبِّي أَبْنَاءَنَا وَطُلَّابَنَا عَلَى التَّدَبُّرِ فِي حَلَقِ الْقُرْآنِ، أَمْ أَنَّ الْأَهَمَّ الْحِفْظُ وَكَفَى بِلَا تَدَبُّرٍ وَلَا فَهْمٍ، لِأَنَّ التَّدَبُّرَ يُؤَخِّرُ الْحِفْظَ؟!

مَا مَقْدَارُ التَّدَبُّرِ فِي دُرُوسِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ، خَاصَّةً دُرُوسَ

التَّفْسِيرِ؟!

وَهَلْ يُرَبِّي الْمُعَلِّمُ طُلَّابَهُ عَلَى التَّدَبُّرِ أَمْ عَلَى حِفْظِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ فَقَطْ؟!

مَا مَرْتَبَةُ دُرُوسِ التَّفْسِيرِ فِي حَلَقِ الْعِلْمِ فِي الْمَسَاجِدِ؟!

هَلْ هِيَ فِي رَأْسِ الْقَائِمَةِ أَمْ فِي آخِرِهَا؟! هَذَا إِنْ وَجَدْتَ أَصْلًا!

مَا مَدَى اهْتِمَامِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ مِنْ بَيْنِ مَا نَقْرَأُ؟!

مَتَى نَقْتَنِعُ أَنَّ فَوَائِدَ التَّدَبُّرِ وَأَجْرَهُ أَكْبَرُ مِنْ التَّلَاوَةِ كَهَذَا الشَّعْرِ؟!

هَذِهِ كُلُّهَا أَسْئَلَةٌ تَبَحُّثُ عَنِ الْإِجَابَةِ، فَهَلْ مِنْ مُجِيبٍ؟!

لَقَدْ ذُكِرَ فِي الْمَبَاحِثِ السَّابِقَةِ عَدَدٌ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالطُّرُقِ الَّتِي تُتَّبَعُ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَى التَّدْبِيرِ وَغَرَسِ مَفْهُومِهِ وَتَطْيِيقِهِ لَدَى الْمُتَرْبِّيِّ، وَهَذِهِ الْوَسَائِلُ وَالطُّرُقُ يَخْتَلِفُ تَطْيِيقُهَا مِنْ شَخْصٍ لِأَخَرٍ عَلَى حَسَبِ قُدْرَاتِهِ وَاسْتِعْدَادَاتِهِ، وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى مِقْدَارِ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ الَّذِي يُبْذَلُ لِلتَّمَكُّنِ مِنْهَا، وَتَخْتَلِفُ قُوَّةُ اسْتِيعَابِهَا بِنَاءً عَلَى عَوَامِلَ مُتَعَدِّدَةٍ تَرْجِعُ إِلَى خَلْفِيَّةِ الْمُتَرْبِّيِّ الْإِيمَانِيَّةِ وَتَتَأَثَّرُ بِالْمَرْحَلَةِ الْعُمُرِيَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَعِيشُهَا الْمُتَرْبِّيُّ.

وَتَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَى مَا يُسَمَّى بِالتَّعْلِيمِ الذَّاتِيِّ، وَهَذَا الْأُسْلُوبُ يَعْتَمِدُ عَلَى نَشَاطِ الْمُتَعَلِّمِ، وَيُعَدُّ أَحَدَ الْأَسَالِيبِ الْفَاعِلَةِ فِي مِرَاعَاةِ الْفُرُوقِ الْفَرْدِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَعَلِّمِينَ، لِأَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي قُدْرَتِهِمْ عَلَى التَّعَلُّمِ، وَفِي اهْتِمَامَاتِهِمْ وَدَافِعِيَّتِهِمْ لِلتَّعَلُّمِ، وَكَذَلِكَ فِي مُسْتَوَى تَحْصِيلِهِمْ وَخِبْرَاتِهِمْ السَّابِقَةِ، لِذَلِكَ فَالتَّعَلُّمُ الذَّاتِيُّ يُقَرَّرُ فِيهِ الْمُتَعَلِّمُ مَتَى يَبْدَأُ؟! وَأَيْنَ يَبْدَأُ؟! وَمَتَى يَنْتَهِي؟! وَأَيَّ الْوَسَائِلِ وَالْبَدَائِلِ يَخْتَارُ؟! وَهُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ تَعَلُّمِهِ، وَعَنِ النَّتَائِجِ الَّتِي يُحَقِّقُهَا وَالْقَرَارَاتِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا.



الطُّرُقُ الدَّائِيَّةُ فِي تَعَلُّمِ التَّدَبُّرِ

مِنَ الطُّرُقِ الدَّائِيَّةِ فِي تَعَلُّمِ التَّدَبُّرِ: الإِخْلَاصُ، وَهُوَ سِرُّ النَّجَاحِ فِي التَّدَبُّرِ وَالْفَهْمِ، سِرُّ النَّجَاحِ لِلْوُصُولِ إِلَى فَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ لَيْسَ خَاصًّا بِالْقُرْآنِ، بَلْ هُوَ سِرٌّ كَامِنٌ فِي كُلِّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ذَلِكَمُ السِّرُّ هُوَ الإِخْلَاصُ، الإِخْلَاصُ فِي الْأَدَاءِ، فَلَا يَقْرَأُ الْمُتَعَلِّمُ ابْتِدَاءً لِيُقَالَ قَارِئٌ، وَلَا لِيَتَفَاخَرَ بِتَدَبُّرِهِ، أَوْ بِرُجُوعِهِ إِلَى التَّفَاسِيرِ وَكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَهَذَا مِنْ أخطرِ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى بُطْلَانِ الْعَمَلِ وَذَهَابِ أَجْرِهِ وَزَوَالِ ثَوَابِهِ، فَعَلَى مُتَدَبِّرِ الْقُرْآنِ أَنْ يَذْكُرَ نَفْسَهُ دَائِمًا بِالْإِخْلَاصِ، وَأَنْ يُجَدِّدَ نِيَّتَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ مُتَأَمِّلًا أَوْ مُتَدَبِّرًا.

مِنَ الطُّرُقِ الدَّائِيَّةِ فِي تَعَلُّمِ التَّدَبُّرِ: الإِسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ؛ لِأَنَّ عَمَلِيَّةَ التَّدَبُّرِ الْحَقِيقِيِّ لِكِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- يَبْدَأُ فَعْلُهَا مِنَ الشَّخْصِ نَفْسِهِ، وَيَنْتَهِي أَثَرُهَا إِلَيْهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْصِلَهَا الْمُتَعَلِّمُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَدَيْهِ دَافِعِيَّةٌ قَوِيَّةٌ لِتَعَلُّمِهَا وَتَطْبِيقِهَا فِي وَاقِعِ الْحَيَاتِي الْعَمَلِيِّ، فَهِيَ مِنَ التَّرْبِيَةِ الدَّائِيَّةِ الَّتِي لَا يَكْفِي أَنْ يَقُومَ بِهَا الْمُعَلِّمُونَ وَالْمُرَبُّونَ؛ لِأَنَّ دَوْرَهُمْ يَنْتَهِي بِالذَّلَالَةِ وَالتَّوَجُّهِ، وَلَكِنَّ التَّامُّلَ وَالتَّأَثُّرَ يَرْجِعُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ بِذَاتِهِ، وَالسَّبَبُ أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ قَدْ يُمَسِّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ بِيَدَيْهِ، أَوْ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ يَسْتَمَعُ إِلَيْهِ بِأُذُنَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَكُونُ الْقِرَاءَةُ مُجَرَّدَ

تَرْدِيدٍ لِلْأَلْفَاظِ، وَيَكُونُ الْإِسْتِمَاعُ مُجَرَّدَ لَحَظَاتٍ صَمْتٍ، وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُ حَقِيقَةَ أَنَّ التَّدَبُّرَ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ الذَّهْنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِيزٍ وَانْتِبَاهٍ وَمُجَاهَدَةٍ، فَإِذَا مَا نَجَحَ الْمُتَعَلِّمُ فِي ذَلِكَ تَحَصَّلَ عَلَى الْمَقْصُودِ وَنَالَ الْمَطْلُوبَ بِإِذْنِ الرَّبِّ الْمَعْبُودِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

مِنَ الطَّرِيقِ الذَّاتِيَّةِ فِي تَعَلُّمِ التَّدَبُّرِ: الدُّعَاءُ بِأَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى التَّدَبُّرَ، فَمِنَ الْأَخْطَاءِ التَّرْبَوِيَّةِ الْفَادِحَةِ الَّتِي مَا زَالَتْ تُعَانِي مِنْهَا مُجْتَمَعَاتُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا اعْتَمَدَتْ عَلَى الْأَسْبَابِ وَلَمْ تَرْكَنْ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، لِذَلِكَ جَانَبَ الصَّوَابِ وَالتَّوْفِيقِ الْكَثِيرَ مِنَ الْجُهُودِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَالْمَشَارِيعِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالْأُمْنِيَّاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَالْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَامِلِينَ فِي الْمَيْدَانِ التَّرْبَوِيِّ نَسُوا أَوْ نَاسُوا أَنَّ مِنْ أَمِّ الْأُمُورِ لِتَحْصِيلِ أَيِّ مَقْصُودٍ هُوَ أَنْ يُلْتَجَى الْمُتَرْبِّي إِلَى خَالِقِهِ، يَطْلُبُ مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالْإِعَانَةَ عَلَى تَحْقِيقِ مَا يَتَمَنَّى وَيُرِيدُ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي عَدَمُ إِغْفَالِ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَمِنْهَا تَحْصِيلُ التَّفْهَمِ وَالتَّدَبُّرِ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَمِنَ الطَّرِيقِ الذَّاتِيَّةِ: مُرَاقَبَةُ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ وَمُحَاسَبَتُهَا أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ؛ لِأَنَّ مِمَّا يَدْفَعُ لِلتَّدَبُّرِ أَنْ يُحَاسِبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَيَكُونَ عَلَيْهَا رَقِيبًا، يَرَى هَلْ تَفَاعَلَ نَفْسُهُ مَعَ الْآيَاتِ؟ أَمْ هُنَاكَ مِنَ الْعَقَبَاتِ وَالْحَوَاجِزِ مَا يَمْنَعُ حُصُولَ الْأَثَرِ التَّدَبُّرِيِّ؟ ثُمَّ يَسْعَى لِتَجَاوُزِ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ وَتَحْصِيلِ التَّزْكِيَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا الْقُرْآنُ، كَمَا قَالَ

الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ -أَي: يَعْلَمَ حَالَهُ وَقَدْرَهُ- فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ».

فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُسَلِّكُ مِنْ أَجْلِ التَّعَلُّمِ الذَّائِي لِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْعُظْمَى فِي الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَصَّ عَلَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيُدَبَّرَ وَلِتُدَبَّرَ آيَاتُهُ، وَلِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْلَمَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ إِلَّا بِتَدَبُّرِهِ وَفَهْمِهِ وَالنَّظَرِ فِي مَعَانِيهِ، وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مُرَادَ الرَّبِّ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، وَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ، وَأَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ عَلَى التَّائِي وَعَدَمِ الْعَجَلَةِ؛ لِأَنَّ الْعَجَلَةَ مُضَادَّةٌ لِلْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّثَبُّتِ.

وَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَيْضًا -وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ فِي التَّدَبُّرِ وَفِي غَيْرِهِ لِإِحْدَاثِ الْخُشُوعِ فِي الْقَلْبِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى الرَّبِّ- أَنْ يَعْتَبِرَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ وَلَيْسَ سِوَاهُ بِكُلِّ خِطَابٍ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَغِيبُ كَثِيرًا عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، لَيْسَ فَقَطْ عِنْدَ التَّعَلُّمِ الذَّائِي لِلتَّدَبُّرِ وَتَحْصِيلِ الْفَقْهِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، بَلْ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ آفَةٌ عَظِيمَةٌ تَشْمَلُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاعِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَضْلًا عَنِ الْآخَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالزَّيْغِ وَالْإِنْحِرَافِ.

وَلَكِنْ.. الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الْهُدَى وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ تُحِيطُ بِهِمْ هَذِهِ الْآفَةُ وَتَغْزُو قُلُوبَهُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَهِيَ أَنَّنَا نَدْعُو النَّاسَ، نُخَوِّفُهُمْ

وَنُرْهِبُهُمْ وَنُرْغِبُهُمْ وَنَحْشُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ كَأَنَّا نُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مَا لَا يَعْينُنَا نَحْنُ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَجِدُ الْخَطِيبَ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَالْمُعَلِّمَ فِي حَلْقَتِهِ، يُذَكِّرُ النَّاسَ بِالنَّارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْكِي وَيَعْلُو نَشِيجُهُ وَبُكَاءُهُ!! وَأَمَّا الَّذِي يَقُولُ فَكَأَنَّمَا الْكَلَامُ الَّذِي يَقُولُهُ لِلْسَّامِعِينَ وَلَيْسَ لَهُ، مَعَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِذَلِكَ أَوَّلَ مَنْ يُعْنَى بِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُهُ، هُوَ أَوَّلَ سَامِعٍ لَهُ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ لَيْسَ مِنَ الْأَذَانِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ أُذُنِهِ، فَهُوَ أَوَّلَ مَنْ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا يَقُولُهُ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ هُوَ بَادِي ذِي بَدْءٍ.

وَلَكِنْ.. الْأَفَةُ الَّتِي تَأْتِي أَنَّا نَخَاطِبُ النَّاسَ عَلَى أَنَّ مَا نُخَوِّفُهُمْ مِنْهُ وَنُرْهِبُهُمْ مِنْهُ كَأَنَّمَا أُنْزِلَ وَشُرِعَ لِأَجْلِهِمْ هُمْ، وَأَمَّا نَحْنُ فَبِمَنْجَاةٍ عَنْ ذَلِكَ، إِذَا كَلَّمْنَا هُمْ عَنِ الْمَوْتِ وَوَصَفْنَا لَهُمُ اللَّقَاءَ، وَمَا يَكُونُ فِي السِّيَاقِ وَمَا يُحِيطُ بِالْمَرْءِ فِي السَّكَرَاتِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْمَخُوفِ، ثُمَّ مَا يَعْتَبُهُ مِنَ الْقُدُومِ عَلَى الْقُبُورِ، وَمَا يَكُونُ فِي الْبَرْزَخِ مِنَ النَّعِيمِ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ بَعْدَ الْفِتْنَةِ فِي الْقُبُورِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا لَا يُؤَثِّرُ فِي الْقَائِلِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ هُوَ أَنْ يُؤَثِّرَ بِهِ فِي سَامِعِهِ، وَأَمَّا هُوَ فَبِمَنْجَاةٍ مِنَ الْمَوْتِ كَأَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ.

فَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا تَلَا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْصَلَ التَّذَكُّرُ وَالْفَقْهُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ مَا يَقْرَأُهُ هُوَ خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ.. إِلَيْهِ هُوَ، لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ بَعِيْنِهِ بِذَاتِهِ، يُخَاطَبُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، بِهَذَا الْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ عَلَى

لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فِيمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ، فَإِذَا وَقَعَ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَاسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالضَّمِيرِ أَحَدُتَ تَدَبُّرًا عَظِيمًا لِكَلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَنَا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَتْحًا مُبَارَكًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا تِلَاوَتَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّدَبُّرَ وَالْفِقْهَ وَالْفَهْمَ فِيهِ، إِنَّهُ -تَعَالَى- هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

